

المحاضرة الأولى

اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات

في المملكة المغربية

دراسة تحليلية ونقد

الأستاذ الدكتور محمد طلال

مدير الدراسات أستاذ التعليم العالي

بالمعهد العالي للإعلام والاتصال

أستاذ التعليم العالي بكلية الحقوق

جامعة الحسن الثاني - الدار البيضاء

الثلاثاء 4 ربيع الأول 1424 هـ - 6 أيار 2003 م

تقديم:

لعل أمر طرح وتحليل ومناقشة موضوع اللغة العربية في التفاضل والفضائيات ليس جديداً وسيبقى دائماً الطرح، وفي طرحة جد وتحيين، ما دامت العلاقة الموجودة بين الإعلام واللغة، علاقة تبادلية طردية، فكلاهما لا يستكين لنظرة جامدة لا تتحرك. فاللغة بحكم ارتباطها بالمجتمع، معرضة للتطور والارتقاء، ما دام المجتمع ارتباطها بالمجتمع، هي معرضة للتطور والارتقاء، ما دام المجتمع يحتكم لآليات التطور والارتقاء، وبهذا المنظور يجتهد ويبدع الإنسان داخله على المستويين النظري والتطبيقي مجسداً ذلك في شتى علوم المعرفة ومترجماً معارفه هذه في اختراعات شكلت مؤشراً موضوعياً لتطور هذا المجتمع أو ذلك. وهي بالتالي تضبط دينامية التغيير أن نحو الإيجاب أو السلب.

واللغة بهذا المعنى تتأثر وتؤثر في المجتمع باعتبارها أحد العناوين الكبرى في سيرورة التغيير المجتمعي، بما يدل على أن اللغة في حيويتها تعكس بالضرورة حيوية الإنسان والمجتمع ونشاطهما، وفي استكانتها وضعفها تدل على استكانة وضعف المجتمع.

واللغة بما تحمله من رموز ودلالات، هي ناقلة لتراكمات معرفية تعبر عن مكانة المجتمع، بمعنى أن اللغة لا يمكن أن تعبر عن شيء لم تساهم فيه أطراف المجتمع الذي تنتمي إليه.

وفي سياق البحث عن العلاقة الحالية والمحتملة بين اللغة والإعلام دخلت عناصر متعددة، حتمت على الصحفي أن يتطور في استيعابه للغة، بما يتوافق والتقنيات المتطورة الحالية. إن التطور الذي نعنيه لا يتعلق بالقدرة على معرفة خبايا التكنولوجيا الاتصالية، وإنما يتعدى الأمر ذلك إلى معرفة البعد المعرفي والنظري الذي أعطى تطوراً مذهباً. وهو ما نلاحظه في الدول التي أبدعت هذه

التكنولوجيا حيث أضحت اللغة متناغمة مع ما أفرزه الإبداع العلمي غير متناقضة معه ولا متخلفة عنه.

هذه النمطية في التجاوب والتناغم لا نجد لها من سمات العلاقة بين اللغة العربية في استعمالاتها عبر التلفاز كان أرضياً أم فضائياً، قد يكون من أسباب هذه الظاهرة أن ما يروج من برامج وتحقيقات ومسلسلات وأفلام هو في غالبيته ليس إنتاجاً وطنياً، وهو خلل تعاني منه أكثرية الدول العربية، ذلك أن ما يبث شكلاً ومضموناً يعكس رسالة ومضموناً ترتبط باللغة التي صاغتها ولا ترتبط باللغة الوطنية التي تبث في مكانها وزمانها.

إننا في هذه المداخلة نسعى إلى فك إشكالية عامة تتضمن فرضيات رئيسية وهي:

ما طبيعية العلاقة بين اللغة العربية والإعلام، وكيف يتم استعمال هذه اللغة في التلفاز، وما واقع ذلك في فعاليات التلفاز المغربي.

القسم الأول: اللغة العربية واستعمالاتها في التلفاز والفضائيات:

- تبدو العلاقة بين اللغة العربية والإعلام علاقة متلازمة، فالإعلام دون لغة رصينة، مبسطة، لا يستقيم أمره. واللغة دون إعلام متطور، لا يمكنها أن تؤدي رسالتها في الانتشار وتعميم الذوق الراقى، والمساهمة في توفير شروط النهوض بالمجتمع، نحو الأفضل. وكما أن اللغة هي واحدة، من الأدوات الرئيسية، لتبليغ مكونات الحضارة، والاهتداء بسبل التقدم، وهي دعامة رئيسية للعملية التربوية والتعليمية، إن هي خضعت لقوالب مرنة في التعلم والتلقين نجد ذات الأمر بالنسبة للإعلام، باعتباره مجموعة من الآليات والقنوات الناقلة للمعرفة، وللرسائل الحضارية، شريطة أن يفهم دوره ووظائفه، وتستوعب مكوناته التقنية، فهو رسالة، ووسيلة. وكلاهما يعتمدان على اللغة، وهذه الأخيرة تعتمد عليهما. ويمكن للإعلام بثلاثيته البنائية ولتراتبية عمله، أن يرتقي باللغة، ويساهم في تطويرها، ويمكنه أيضاً أن يكون عنصر تأخر اللغة، في حالة غياب الشروط الكفيلة بفهم واستيعاب الإعلام في مكوناته وشروطه⁽¹⁾، غير أن أمر هذه العلاقة ليس سهلاً يسيراً، فمن النادر أن نجد في مجتمع من المجتمعات وحدة لغوية

يسهل معها التعامل مع الإعلام، ويسهل على هذا الأخير التعامل مع اللغة، فغالبية المجتمعات، تتكون من أعراق، ومجموعات بشرية، قد لا تستعمل لغة واحدة، بل لغات متعددة. وهذه التعددية ليست عائفاً في حد ذاته للرسالة الإعلامية، ما دامت تعددية اللغة داخل المجتمع، تعكس مكوناتها عرقية مختلفة، مما يتطلب معها، تعاملًا إعلاميًا، يركز على منهجية محددة، تراعي هذه الخاصية^(٢) وتتجاوب مع مثل هذه الحالات ولا تناقضها. إلا أن الإشكال يبرز حينما تكون في مجتمع ما لغة واحدة تجسد تلاقياً حضارياً لهذا المجتمع أو ذلك، لكن هذا التلاقي حول اللغة، لا يستدل على رכיعة معرفية قوية للارتقاء باللغة إلى درجة التعامل مع المستحدثات التكنولوجية في مجال الإعلام.

فداخل المجتمع العربي مثلاً تطرح مسألة اللغة بإلحاح، وإلحاح هذا موجود بسبب عناصر ذاتية لم تساعد على أن تكون اللغة العربية، لغة قادرة على تبليغ رسالة إعلامية إلى الجمهور. فاللهجات المحلية داخل الدولة الواحدة، إضافة إلى انتشار العامية جعلت اللغة العربية، قادرة على أن تكون بديلاً مساعداً لصياغة وإرسال خطاب إعلامي له مضمون ووظيفة محددان. إن هذا الواقع ليس أمراً جديداً بحكم العناصر الدخيلة في المجتمع العربي، وهو يستند إلى خلفية تاريخية اعتبرها بعض الباحثين المهتمين "هي المؤثرة على اللسان العربي، وكانت سبباً في بلبنته، واستوعب لهجات مختلفة عرفت كل واحدة منها بأنها لغة^(٣) مما اعتبر الإعلام في علاقته باللغة، أضيق تعبيراً للدلالة من اللغة، وهو الأمر الذي يتطلب التنقيب والبحث في علاقة الإعلام باللغة رسالة ووسيلة^(٤)؟ بمعنى أن الأبرز في إشكالية العلاقة التي نتكلم عنها بين اللغة والإعلام الجماهيري لا تقع على جانب الطرف الأول، بل ينحصر في الجانب الثاني أي الإعلام، ومن ثم يسهل حصر مسؤولية قصور الفهم المتبادل أساساً، للغة العربية المرتبطة بها ذلك أن المسألة لا تتعلق بتطور اللغة، وإمكانية تطويعها لتبقى سلسلة سهلة، قادرة على أن تكون ناقلة للمعرفة حقاً. وإنما تعود المسألة أصلاً إلى مدى قدرة اللغة العربية على نقل المعارف، وتعميمها بما تحمله هذه المعارف من علوم متقدمة، وتكنولوجيا متطورة، ذلك أن العلماء العرب "لا يمكنهم من تطوير لغتهم ما لم يشاركوا بأنفسهم في تطوير المعارف الإنسانية".^(٥) وبهذا نكون أمام صورة بناء جدلي للعلاقة بين اللغة والإعلام، أو بين الإعلام واللغة، وجدلية العلاقة تفرز دوراً خطيراً متميزاً للغة في تطوير الفكر، وليست مجرد مرآة تعكس الفكر فحسب. وهي ظاهرة اجتماعية كما

ذهب عدد من الباحثين، من هنا فإن هذه العلاقة تحتم علينا أن ننظر للغة لا باعتبارها مجموعة من الآليات التقنية المرتبطة بالمسلك النحوي وقواعده، بل ننظر إليها كسلوك فردي واجتماعي يمكن وسائل الإعلام من الاستفادة من اللغة الفصحى المشتركة^(٦).

المبحث الأول: اللغة العربية واستعمالاتها في الإعلام:

الكلام عن اللغة العربية واستعمالاتها في الإعلام، يطرح تساؤلاً منهجياً وهو أي لغة نعني؟ هل اللغة العربية في إطارها البنائي الفصيح هي المقصودة، وهل هي قادرة على التعبير عن مضمون الرسالة التي نريد إبلاغها مهما كان هذا المضمون، وهل اللغة العربية الفصحى في وضعها الحالي، يمكن أن تشكل تعبيراً وحدوياً عن باقي شرائح المجتمعات العربية.

وأمام المؤشر السيسولوجي "العمراني"، كما يذهب العلامة ابن خلدون، الذي يؤكد أن ثمة رديفاً للغة العربية، وهو اللهجات العربية منها وغير العربية، ففي العالم العربي ليس تعدد اللهجات، بتعدد دوله، ولكن داخل الدولة الواحدة لهجات تعكس طبيعة الوحدة الجغرافية التي تنتمي إليها، وثمة لهجات تتحدر من نسب غير عربي تعكسه الأقليات^(٧)، داخل هذا البلد أو ذاك، من هنا تطرح على الباحث اعتبارات منهجية جوهرية تفرض إعادة صياغة التساؤل عن طبيعة العلاقة بين اللغة العربية والإعلام، وعن مدى قدرتها على نقل رسالة إعلامية محددة، وبوسيلة إعلامية محددة أيضاً، ثم هل اللغة العربية يمكن أن تكون لغة إعلامية مؤثرة في الفرد ليرتقي بلهجته إلى مستوى اللغة، وأن يتم تهذيب الذوق وإزالة الشوائب الزائدة في اللسان العربي. وخارج هذا الاعتبار، فإن الإعلام إذا ما احترم القواعد البنائية للغة العربية، يمكنه أن يساهم في نقل ثروة لغوية غنية إلى الجمهور للرفع من مستواه الإدراكي والمعرفي والثقافي^(٨).

إننا حينما نتكلم عن الفوائد المتبادلة بين اللغة العربية في استعمالاتها في الإعلام، أو استعمالات الإعلام لها، يفرض علينا المقام أن نؤكد على أن ما يعرفه الإعلام من تطور تكنولوجي، وبالأخص على مستوى البث الفضائي، الذي زاد من دقته وساعد على انتشار وتعميم الرسالة الإعلامية وفرض صياغة ما

يمكن أن نسميه: بمنهجية التوازن بين القدرات الأدائية لوسائل الإعلام البصري خاصة، وبين قدرات اللغة على التعامل مع هذا المعطى" ولقد أدى هذا الأمر إلى إبراز لغة وسطى انطلقت من أرضية توافقية، اعتمدت تهذيب اللهجات ورفعها إلى مستوى اللغة. إن اللغة الوسطى هذه، اعتبرت بمثابة "لغة مشتركة" بإمكانها أن تكون "لغة الإعلام"^(٩).

إن البحث في قدرات اللغة العربية على التعامل مع تكنولوجيا الاتصال التلفزي، جعل المهتمين من الباحثين والمنظرين في مجال الإعلام والاتصال يطرحون مقاربات منهجية تتعلق باللغة، وماهيتها باعتبارها واحدة من أدوات الاتصال التلفزي، وهل يمكنها أن تتبنى علاقة مع التلفاز في شكل صيغة محددة، يمكن أن يتلقاه عامة الناس، ويفهمون ما تصله من مضامين، أم أن اللغة تعني شيئاً آخر، قد يرتبط بالقواعد اللغوية، التي تحدد شكل نظامها، ونوعية توجهها. ومسار صرفها، على اعتبار أن الصرف في نظر اللغويين "أم العلوم والنحو أبوها".

من هنا يمكن تلمس طبيعة الصلة الموجودة بين الإعلام وقدرته على توظيف اللغة، بما تحمله من قواعد وقوانين يتحتم احترامها إذا أريد استعمال اللغة العربية. ذلك أن "اللغة ما هي إلا تعبير عن الفكر، وكل فكر لا بد من أن يعبر عنه، وعلى ذلك اعتبرت اللغة ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول"^(١٠). ولفهم قدرات اللغة على أن تكون عنصراً رئيسياً في نقل الرسالة الإعلامية عبر التلفاز، رفع بعض الباحثين آليات فهم هذه العلاقة، إلى مصاف العلوم، معتبرين أن العلاقة بين اللغة والإعلام ينبغي أن تقوم على أساس بناء علمي هو: "علم الإعلام اللغوي"، الذي أعطوا شرحاً له كما حددوا وظائفه وهو في نظرهم العلم الذي يدرس اللغة في ضوء فكرة الاتصال، ويدرس الظواهر الاتصالية الإعلامية، ويحدد مكانة اللغة فيها"^(١١)، واضعاً نوعية سماتها المؤثرة في تحقيق الأغراض الآتية أو البعيدة، كما يدرس الأسس المؤثرة في تحقيق الأهداف المحددة.

ولقد سبق للعلامة ابن خلدون أن حدد في هذا السياق أركان اللسان العربي وجعلها أربعة وهي: اللغة والنحو، والبيان والأدب"^(١٢)، وقد رافق هذا التحديد شرط أساسي وهو ضرورة دلالات هذا التحديد - إذا أريد معرفة أغوار اللغة العربية"^(١٣)،

وما يربطه بمعرفة أسس النحو، فبدونه لا يمكن تبيان ومعرفة أصول المقاصد بالدلالة^(١٤)، من هنا هل النحو أهم من اللغة ككائن مجرد أم أن اللغة أهم من النحو-.

هذا الطرح التضادي حسم فيه ابن خلدون، بتأكيديه أن الجهل بالنحو يؤدي على انهيار البناء اللغوي جملة وتفصيلاً.^(١٥)

إن الاتجاه الذي اعتمده ابن خلدون، والمتمثل في اعتبار النحو عنصراً أساسياً في البناء اللغوي يرتبط موضوعياً بوضعنا المعاصر أو الزاكن من خلال ما يصطلح عليه "بالتحرير الإعلامي" الذي يحتاج إلى جودة التأليف وحسن النظم^(١٦).

المبحث الثاني: اللغة العربية وتقنيات الإعلام التلفزي:

حينما نتكلم عن إمكانية استعمال اللغة العربية، في المجال السمعي البصري، وبالأخص التلفاز، نطرح تساؤلاً منهجياً يتعلق بمدى إمكانية اللغة العربية على استيعاب التقنيات الحديثة للإعلام، وهل بإمكانها أن تستجيب لمتطلبات المستحدثات الاتصالية في مجال التلفاز؟ وهذا الأمر يرتبط موضوعياً بما اصطلح عليه "بالتحرير الإعلامي" الذي يحتاج إلى صياغة تمتاز بالجودة في التأليف، وإلى قدرة كبيرة ودراية علمية في موضوع من الموضوعات، التي تتطلب البحث في التراكمات المعرفية على مستوى التراث العربي، الذي يزخر بأمثلة متعددة في هذا الصدد، من ذلك أن المبدعين القدامى كانوا يشترطون في الكتابة السليمة القابلة للنفاذ والاستيعاب، توافر ثلاثة عناصر متصلة ببعضها وهي:

- يتعلق الشرط الأول بدقة اختيار الألفاظ.

- ويهتم الشرط الثاني نظم الكلام.

- أما الثالث، فيخص مراعاة الغرض المطلوب من الكلام، وقد اشترط وجوباً الإشارة إليه، مما يتطابق ومضمون الكلام بمقتضى الحال^(١٧).

وفي الفهم المعاصر فإن الشروط الأساسية "للتحرير الإعلامي" تختصر في أن الإعلامي عليه أن يختار الألفاظ المناسبة ويربط فيما بينها ليكون التأليف مناسباً، ومطابقاً، مع مقتضيات قواعد اللغة في صياغة تشكل كلاً متكاملًا منسق الأجزاء مترابط الوحدات الداخلية، خالياً من الشذوذ والنشاز، على أن هذه الصياغة - السليمة لغوياً - المراعية لقواعد اللغة العربية، لا يمكن أن تكون كذلك إلا بالتشبيث بقواعد النحو، حافظه على ترتيب الكلمات. واعتماداً على ذلك، فإن السياق العام "للتحرير الإعلامي" لا بد أن يعنى بدراسة وتأليف الكلام، تأليفاً دقيقاً، من الصياغة، سهل الاستيعاب بخصوص الرسالة الإعلامية^(١٨).

وبالتأكيد، فإن ما نقصده "بلغة الصحف"، هو الذي قصدته غيرنا مشيرين إلى تأثير الدارج من لغة بعض الصحف، وسموه "بلغة الجرائد" حيث كان الغرض منه إدخال تصويبات لغوية تهم الدارج من كلمات تذاع عبر التلفاز^(١٩).

غير أن الاستعمال والتداول اللغوي، في وسائل الإعلام السمعية البصرية، وبالأخص التلفاز، سجل خروجاً عن المؤلف اللغوي، الذي تفرضه قواعد اللغة العربية تحديداً. وهو ما أدى إلى حالة من التساهل في استعمال اللغة العربية الفصحى، ما نتج عنه "اللغة الوسطى" أو اللغة الثالثة.

ونجد في الأدبيات الصادرة خلال العقد الأخير، نماذج متميزة، مما ساهمت به وسائل الإعلام، في تركيب وإعادة تركيب اللغة عن طريق نشر مصطلحات جديدة وتداولها، بعد إخضاعها إلى ما اعتبر عادياً ومألوفاً من قواعد اللغة العربية، وتتعدد الأمثلة على ذلك كاستعمال:

- اسمين للدلالة على الظرفية والمكانية.

- اسم يليه اسم تلحق به ياء النسب مثل نحو: افروا أسويوي.

- علم يليه علم بينهما شرطة فاصلة مثل قمة بوش-بلير.

- ظرف يدل على المكان والزمان، يليه اسم تلحق به ياء النسب مثل "الأشعة فوق البنفسجية"^(٢٠).

ولقد آثر هذا المنحى اللغوي الجديد، والمرتبط بوسائل الإعلام، جدلاً واسعاً حول مدى قدرة هذا الاتجاه على صياغة اللغة العربية، صياغة جديدة وحول مدى قدرته على أن يؤثر في المتلقي، فهناك من اعتبر "اللغة الثالثة أو "الوسطى" أو التعبير الإعلامي: خروجاً على ما ألفه العرب من قواعد، وتراكيب مؤكدين أن وسائل الإعلام بهذا السلوك تقوم بهدم ما تقوم ببنائه المدرسة في محاولة حثيثة لتعليم اللغة العربية وتحبيبها للنشء.

المبحث الثالث: الخلفية التاريخية لاستعمال اللغة العربية في التلفاز:

علاقة الاتصال باللغة ليست جديدة، فمنذ ميلاد الإنسانية كانت العلاقة فيما بين البشر علاقة تواصلية، وكلما تطورت أنماط العيش والحياة في المجتمعات، تتطور معها أساليب الاتصال وأشكاله، فإذا تمعنا في تاريخ الكلمة المطبوعة، وجدنا أن تطورها، لم يقتصر على الاستعمال التقني للحرف فقط بل تعدى ذلك إلى إقرار كامل للارتباط الوثيق بطباعة الورق، واختراع الحبر اللذين ساهما بدورهما في تحسين الطباعة، والزيادة في جودتها، وتبقى عوامل ساهمت كذلك في تطوير فن الإخراج الصحفي.

ولعل المسار الذي عرفه الإعلام السمعي البصري، بدأ بظهور واختراع الراديو، مروراً بما تركه التلفاز من انبهار لدى الجمهور، وانتهاء بما وصل إليه إبداع الإنسانية من اختراعات بالغة الدقة في هذا المجال.

والإعلام العربي الذي شق طريقه في فترة وجيزة بالنسبة لبلدان أخرى متقدمة، عرف بدورها تحولات رغم ما سادها من ركود نتيجة التدخل الاستعماري، في البلدان العربية، وما تلا ذلك من تبعات، تجلت في ترسانة من القوانين المقننة للممارسة الإعلامية، وفي تعليم متخلف، ووضع ثقافي ضعيف، وكانت اللغة دوماً الأداة الرئيسية التي تسهل عملية الاتصال عبر هذه القناة أو تلك. وكلما تطورت وسائل الإعلام شكلاً ومضموناً، كان على اللغة أن تستوعب هذا التطور

وتهضمه. لتكون قادرة على التعامل مع الوسيلة المتطورة، وتؤثر فيها، لكن الذي حدث هو أن اللغة العربية أصابها ضرر كبير من هذا التعامل ولم يكن السبب في ذلك الوسيلة الإعلامية "التلفاز" ولكن السبب كان في اللغة ذاتها التي لم يتمكن أصحابها من تطويرها في اتجاهين:

أولهما: يهتم مستقبل الرسالة، الذي عليه أن يكون قادراً فكرياً وإدراكياً لاستيعاب اللغة المنقولة عبر التلفاز.

وثانيهما: يتجلى في الوسيلة ذاتها، وهي التلفاز - الذي من المفترض أن يتعامل مع المسألة اللغوية، لملاءمتها مع الواقع التعليمي للجمهور المستهدف. وأن عليها أن تكون قادرة على إخراج هذا الجمهور من أميته التي تحول دون فهم مدركات اللغة ومراميتها، وبالأخص المبنوثة عبر التلفاز.

ومن المؤكد أن التخلف التعليمي، جعل اللغة العربية غريبة في محيطها، وغريبة لدى أبنائها، مما دفع المعنيين بأمر التلفاز في البحث عن صيغة لغوية، تنزل بالرسالة إلى مستوى أمية الجمهور دون أن تعمل على تطويره وترقيته إلى مصاف المتعلمين القادرين على فك رموز اللغة العربية، إن هذه الصيغة اعتبرت جزءاً من حل سهل يركز على التعامل مع العامية الدارجة، وفي هذا تكريس لواقع الأمية، وتهميش للغة العربية الفصحى^(٢١).

وفي بعض الدول العربية كدول المغرب العربي، نجد أن استعمالات التلفاز للغة، تتجسد في ازدواجية لغوية تركز الإشكال ولا تساهم في الحل. من خلال التعامل مع اللغة دون احترام قواعدها، وبالتالي يشكل هذا السلوك اعتداءً صريحاً على اللغة العربية، وضرباً لهيبتها، وتكريساً صارخاً للأمية في هذه البلدان التي ما زالت الأمية فيها تفوق في المتوسط 50% كما أن من نتائج هذا المسلك تعميم "الضبابية" بخصوص المسألة اللغوية وعلاقتها بالتلفاز".

فالضبابية لا تعنى اللغة واستعمالاتها فقط، بل تهم قدرات الممارس الإعلامي في التعبير بوضوح وبلغته سليمة، ويرى بعض الباحثين أن الوضوح "لا يعني

ابتدال الخطاب، أو تبني العامية الدارجة، بل يكمن في يسر الصياغة وسهولة الفهم".

ويمكن أن نعيد وجود هذه الضبابية لعاملين اثنين:

أولهما: عجز "الإعلامي" الذي يشتغل في التلفاز عن صياغة مادة خبرية أو تقريرية، تعتمد تقريب صورة ما يريد تقريبه بشكل دقيق ومتكامل، ولذلك يلجأ إلى واحدة من الصيغ الثلاث.

- أنه يدرج كلمات لا تقول ما تعنيه.

- أو يعتمد كلمات لا تقول شيئاً.

- أو يتبنى كلمات تقال للعرض فقط.

ثانيهما: أن هذا العجز يشكل سبباً رئيسياً في الضبابية التي أشرنا إليها، ويتجلى في التكوين اللغوي للصحفي إضافة إلى فراغ أو شبه فراغ في الكم المعرفي السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وثمة عديد من الاقتراحات للخروج من الضبابية المشار إليها من أبرزها إيجاد صيغة "معياري رياضي" قصد قياس ما يعرف بـ "الانقرائية" أو المقروئية، ولقد خلصت عديد من الدراسات الاتصالية والإعلامية وهي تبحث في هذه الإشكالية، إلى أن المشاهد العربي للتلفاز لا يتجاوز لدى مشاهدته ثلاثة فقرات أهمها الفقرة "الإخبارية" وللمحافظة ولو على هذه النسبة الضئيلة أوصت هذه الدراسات بضرورة زرع رغبة المشاهدة لدى الجمهور، من خلال بذل مجهود متميز في صيغة البرامج كانت إخبارية أم ثقافية أم سينمائية^(٢٦).

فالكتابة للتلفاز اعتماداً على الصورة كاختيار مهني يتم بنوع من اليسر والسهولة، يبدو أنه أصعب من تلك التي تجنح إلى التعقيد، وسنكون بعيدين عن الصواب إن نحن اعتقدنا أن الفئة المتعلمة من الجمهور، بإمكانها فهم الصيغ المعقدة.

ولا نعتقد أن ثمة عناصر محددة، في حالة توفرها، تسهل عملية الكتابة بالوضوح المطلوب، وهي تخص هذه اللغة دون غيرها. وفي البحوث المختصة، والتي تهتم بهذا المجال، نجد ما يدلنا على العناصر المطلوبة، التي في حالة توفرها يمكن الوصول إلى صيغة كتابة تلفزية، سهلة، قابلة لإثارة انتباه المشاهد إليها^(٢٣).

المبحث الرابع: القواعد التقنية والقواعد اللغوية:

للغة العربية قواعد نحوية وأخرى صرفية، في حالة استيعابها واحترامها، يمتلك الشخص ناصية هذه اللغة، ويمكنه أن يعبر عن ما يشاء بلغة سليمة مؤثرة، وأيضاً للعمل التلفزي تقنياته، التي تفرضها الخاصية التقنية لهذه الوسيلة المؤثرة. ولقد سلك عدد من الباحثين منهجاً يتعلق بخلق توافق بين شروط العمل التلفزي، وبين قواعد اللغة، بالقدر الذي أعطى صياغة جديدة، لم تكن في غالب الأحيان، مقبولة لدى جميع الأطراف. إذ اعتبر بعض اللغويين، أن تكييف اللغة مع الشرط التقني ومتطلباته أدى إلى عدم احترام القواعد النحوية، التي تعتبر شرطاً أساسياً لبناء لغة سليمة، وبالتالي أفرز لغة جديدة بعيدة عن أن تكون عربية بقواعدها وقوانينها. بمعنى أن العمل الإعلامي التلفزي استعار لغة أفرغت اللغة العربية من إطارها الجمالي السليم. في المقابل يعتقد التقنيون المختصون في مجال الإعلام التلفزي أن متطلبات التطور التكنولوجي التلفزي، أضحيت تتطلب الخروج عن طابع اللغة العربية القرائية ليتم وضع أسس لغة تواكب التطور المجتمعي، والتقني التواصلي، ودعوا إلى ضرورة التخلي التدريجي عن اللغة الفصحى، نظراً لما تطرحه من تشدد في احترام قوانينها وقواعدها، وبناء لغة إعلامية بديلة، فاعلة، مؤثرة، تتسم "بالبساطة والحميمية"^(٢٤).

من هنا نلاحظ أن المتطلبات التقنية للعمل الإعلامي التلفزي أثرت وبشكل مباشر على البناء اللغوي بنحوه، وصرفه. ويمكننا ملاحظة أن المشتغلين في إعداد برامج تلفزية، صاغوا لأنفسهم لغة خاصة بهم تقترب أو تبتعد عن فصحى اللغة العربية. وهو ما أدى إلى إقامة ما سماه البعض "لغة الإعلام" وهي لغة

تأخذ لبوساً حسب نوعية العمل الإعلامي إن كان صحافة مكتوبة أو صحافة تلفزيونية^(٢٥).

وإذا كان تقنيوا التلفاز والمختصون قد اشترطوا، لإيجاد برامج تلفزيونية ناجحة، ضرورة الارتباط بالعامية أو الدارج في الفصحى فإن المدافعين عن حماية رصانة اللغة العربية، اعتبروا ذلك تساهلاً في استعمال الفصحى، وعنصر زعزعتها وطرحوا بديلاً عن ذلك تمثل في "العربية الوسطى" تجاوباً مع متطلبات الشروط التقنية للعمل التلفزيوني.

ولعل من بين معالم هذا التساهل اللغوي مخالفة الطابع الفصيح، الذي يوسم اللغة بالقدم، من ذلك تغليب الجملة الاسمية على الجملة الفعلية في الاستعمال الإعلامي التلفزيوني. بخلاف ما هو دارج في اللغتين الإنجليزية والفرنسية. المعروف عنهما اعتمادهما الجملة الاسمية. وتندرج الملاحظة الأخرى في التساهل اللغوي، مثل إضافة المضافين، ومعلوم أنه في القاعدة العربية لا يفصل بتاتاً بين المضاف والمضاف إليه^(٢٦).

وفي هذا الاتجاه يرى بعض الباحثين اللغويين أن السلوك الإجرائي الذي يتم تحت طائلة المتطلبات التقنية للعمل الإعلامي التلفزيوني، لا مبرر له. باعتبار أن تقديم الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، يمكنه أن يشد انتباه المشاهد، ويعتبر أسلوباً قادراً على ترسيخ مضمون الخبر، وتمكينه من النفاذ بيسر وسرعة إلى الجمهور، وفي رأي هؤلاء، فإن هذا المنحى التفسيري الذي يطغى عليه المتطلب التقني، لا يستند إلى منطق لغوي مقبول.

وثالث هذه الملاحظات تعدية الأفعال، ومن الثابت المتداول أن من الأفعال ما يعدى، تعدية مباشرة إلى المفعول. رغم أنه يتعدى في استعمال اللغة الفصحى بحرف الجر.

وقد نتج عن المنحى التقني إزاء اللغة العربية الفصحى انتشار عدد من الحالات الشاذة في الاستعمال اللغوي، الذي أعاده مختصون إعلاميون ولغويون إلى ضعف تدريس اللغة على المستويين المادي والمنهجي، خلال جميع مراحل

التعليم، وهو ما جعل "لغة الإعلام" تطفو على سطح الممارسة الإعلامية، وبالأخص التلفزيونية منها. وجاءت هذه اللغة، نتيجة البحث عن ظروف مقبولة لاستعمال لغة عربية سليمة. ولكن الذين يمزجون بين اللغة الفصحى، واللغة الوسطى، أو اللغة الثالثة، يعتقدون أن ما تطرحه القاعدة النحوية والصرفية يشكل صعوبة في الاستيعاب وهو الذي أدى إلى اللجوء إلى لغة لا تخضع لقواعد وقوانين الكتابة والنطق. وهنا يمكن أن نطرح التساؤل التالي: هل اللغة العربية صعبة؟^(٢٧) .

إن عدداً من النقاد يعتقدون أن ثمة فرقاَ جوهرياً بين اللغة الصعبة التي قد لا تكون بالضرورة هي اللغة العربية، ومن سمات هذا الفرق، أن الصعوبة لا تكمن في لغة ذات قواعد مضبوطة، وقوانين معروفة وإنما توجد فيما يمكن أن نسميه باللغة التي لا قواعد لها كالعامية، ومن أوجه هذه الصعوبة التي تركزها العامية، تسببها في انفصام لغوي فيما بين الرمز اللغوي وبالتحديد بين المرسل بواقعه، وأهدافه التي يريد تجسيدها والمتلقي وهو الأمر الذي يحدث تماماً في حالة تدخل دولة أجنبية^(٢٨) .

وفي اعتقادنا فإن الصعوبة ليست في اللغة، من حيث بناؤها التراتبي اللغوي، ولكنها تكمن في ارتباطها بحالة مجتمع متخلف وهو الذي يؤثر ويتأثر في اللغة المستعملة في الإعلام، باعتباره نسيج بنية فوقية، على علاقة بمكونات التخلف، مما يترأى للذين يرتبطون باللغة أو ترتبط بهم عناصر صعوبتها لا عناصر سهولتها ويسرها^(٢٩) .

وقد لاحظنا كما لاحظ غيرنا من الباحثين والمهتمين الإعلاميين واللغويين أن عدداً من الكتابات المتمثلة في نصوص إعلامية على شاكلة برامج إخبارية أو ثقافية، لا تمت تماماً إلى التجميل والتصنيع بصلة، وإنما ترتبط بصيغ التحديق والتكلف^(٣٠) .

القسم الثاني: واقع استعمال اللغة العربية في التلفاز المغربي:

استعمال اللغة العربية في التلفاز والفضائيات المغربية قد لا يشكل وضعا استثنائيا أو خاصا بالنسبة لما هو موجود في البلاد العربية الأخرى، بالنظر لنفس المشكلات التي تعترض دعم اللغة العربية في باقي الأقطار العربية إننا حينما نقوم بحصر معالجتنا في اللغة العربية. فإننا منهجياً أعفينا أنفسنا من التطرق لإشكالية تعامل جهاز التلفاز مع اللهجات المعبرة عن الأقليات أو المعبرة عن العناصر المكونة لعينات المجتمع المغربي.

واللهجات اصطلاحاً ليست هي العامية مما يجعلنا نقرر أن التجربة المغربية تختلف عن غيرها في باقي البلاد العربية، من حيث أنها توظف اللغة العربية الفصحى في الإعلام التلفزي دون اعتبار العامية الدارجة عنصراً لغوياً ينبغي الالتفات إليه، لكن بالرغم من ذلك فإن هذه العامية تحتل مكان الصدارة بالنسبة للإنتاج الدرامي سينمائياً كان أم تلفزياً، وكذلك الشأن بالنسبة لنشاطات الإعلان أو ما يسمى في المغرب "الإشهار"^(٣١).

إننا لسنا أمام انتشار اللغة العربية على حساب باقي الأشكال اللغوية الأخرى، ولكن تحتل العربية موقعاً إعلامياً يحتكم إلى المقاييس الحرفية في التعامل معها.

إن الحرفية التي ينبغي أن يتسلح بها الإعلامي في التلفاز لا بد أن تكون مرتبطة بالقوالب القاعدية والقانونية للغة العربية الفصحى. فنظرنا النقدية إذن سنتجه إلى صيغ اللغة الفصحى في نشرات الأخبار، وفي البرامج الوثائقية، والبرامج السياسية، التحليلية منها والحوارية، ثم البرامج الثقافية^(٣٢).

لكن هذا لا يعني عدم الالتفات إلى الصيغة الحرفية التي تعاملت مع العامية في الأفلام الدرامية والمسرحيات ليأتي عنصر أكثر أهمية، ويتمثل في الإشهار.

ويلعب الإعلان "الإشهار" أدواراً خطيرة وفاعلة في نقل مضمونه المراد منه الترويج التجاري وفي بعض الحالات الترويج السياسي. ذلك أنه ينقل عبر عامية لا تساعد على الارتقاء بالمدارك الخاصة والذوق العام، بل إنها تكرر صيغاً لغوية بعيدة كل البعد عن اللغة العربية. كما تشكل عنصر تشويش على البناء

التركيبية للغة العربية الفصحى، مما تحمله العامية من تعبيرات هابطة وتركيب لعدد من الكلمات جزء كبير منها ليس عربياً^(٣٣).

المبحث الأول: استعمال اللغة العربية في البرامج الإخبارية في التلفاز المغربي:

- مبدئياً تتحكم في عملية صياغة الأخبار من حيث نوعها وتدرج أهميتها مجموعة من الشروط أهمها:

- أن تصاغ بلغة سليمة.

- أن يتم تكييف اللغة مع تقنيات صياغة الخبر.

- استعمال الجمل القصيرة، بدلاً من الجمل الطويلة.

- استعمال الفقرات القصيرة بدلاً من الفقرات الطويلة.

تبعاً لهذا فإن تقنية صياغة الخبر المشار إليها، لا تعني الخروج عن ضوابط اللغة العربية، الأمر الذي يفرض إضافة عنصرين آخرين وهما:

- توظيف الألفاظ المعروفة لدى المشاهد، والابتعاد عن الألفاظ البعيدة عن الدونية.

- الاجتهاد في تبيان الألفاظ، والكلمات، والتراكيب المعروفة، لدى المشاهد.

هذه الشروط والعناصر بقدر ما تخضع لقواعد اللغة العربية بقدر ما يجب أن تستجيب للمتطلبات التقنية لصياغة الخبر، ومن أهم هذه المتطلبات، ضرورة الإجابة عن الأسئلة الستة^(٣٤).

أين، متى، كيف، ماذا، لماذا، من، ويتبع هذه الأسئلة اعتماد القاعدة التقليدية في صياغة الخبر والمتمثلة في "الهرم المقلوب".

فهل التلفاز المغربي أرضياً وفضائياً، في الجانب الإخباري اعتمد هذه الشروط، وبالأخص ما يهم المستوى اللغوي.

بداية لا بد من إشارة منهجية تتعلق بالإجابة عن من هو الشخص القادر على القيام بهذه المهمة أو المهام، هل أن أي فرد يجيد التعامل مع اللغة العربية، دون أن يكون متمكناً من تقنيات صياغة الخبر، بإمكانه القيام بها أم أنه يمسك بالقواعد التقنية ولكنه لا قدرة له على استيعاب اللغة صياغة وقواعد قادر على صياغة النص الخبري.

لقد أضحي من الثابت أن المشتغل بمجال الإعلام يشترط فيه أن يكون له تكوين علمي وميداني وأن هذا التكوين إما أنه تلقاه على أسس تعليمية أكاديمية جامعية، أو أنه تلقى تكويناً خاصاً في الإعلام بعد دراسته الجامعية^(٣٥).

ولتقريب الصورة عن التلغاز المغربي بنوعيه الأرضي والفضائي، وعبر الفنانين الرئيسية الأولى والثانية، فإن المشتغلين فيهما ممن يمارسون مهنة الصحافة والإعلام يشكلون نسبة تفوق 70% تلقت تكويناً في المعهد العالي للإعلام والاتصال بالرباط وأن الذين تلقوا مثل هذا التكوين في مؤسسات للتكوين الإعلامي خارج المغرب لا يتعدى عددهم 5% وتستوعب القناة الأولى فقط نسبة 78% من الصحفيين تكوينهم الأساسي إعلام من خريجي المعهد المشار إليه وفي القناة الثانية فإن النسبة تفوق 80%^(٣٦).

مع الإشارة أن مجال نشاط هؤلاء الصحفيين والصحفيات يقتصر أساساً على تقديم نشرات الأخبار الرئيسية، ومنهم من هو مختص في الأخبار والبرامج الرياضية، ليبقى إنتاج البرامج الترفيهية والمسلسلات الدرامية والبرامج الثقافية يتم في غالبيتها من خارج الأجهزة التلفزية وعبر شركات أجنبية مختصة بهذا النوع من البرامج.

وتستعمل في نشرات الأخبار والبرامج الثقافية والسياسية اللغة العربية، وبصفة جانبية اللغتين الفرنسية والإسبانية وتوجد القناة الثانية في وضعية خاصة من الناحية اللغوية حيث تعتمد ازدواجية اللغة. إذ أن عدد النشرات الخيرية التي تقدم باللغة العربية هو ذاته الذي يقدم باللغة الفرنسية. وهذا خلاف لما هو موجود في القناة التلفزية الأولى التي تعتمد اللغة العربية الفصحى في النشرات الإخبارية الرئيسية، وتأخذ باللغتين الفرنسية والإسبانية في نشرات الأخبار الثانوية، وتسري

هذه الوضعية على اللهجات إذ تقدم ثلاث ملخصات أخبارية بثلاث لهجات محلية تعبر عن ثلاث مناطق بربرية^(٣٧).

واستعمال اللغة العربية من طرف الصحفيين تتحكم فيه الخلفية التعليمية للصحفي في أساسه التعليمي، ولما كان تلقين اللغة العربية في التعليم الثانوي يعرف بعض الهشاشة والضعف، فإن الصحفي رغم التكوين العالي الذي تلقاه في ما بعد البكالوريا يبقى تمكنه من اللغة العربية يتسم بالضعف، هذا مع الإشارة أن التكوين بالمعهد العالي للإعلام والاتصال يعتمد تدريس اللغة العربية خلال السنوات الأربع مدة الدراسة، كلغة رئيسية ومادة أساسية^(٣٨).

ونتيجة لهذه الخلفية، ولانعدام تصور تكويني يركز على إعادة التكوين في اللغة العربية والتمكن من تقنيات استعمالها في الإعلام التلفزي، فإننا نجد الأداء اللغوي الإعلامي، أداء أن كلياً أو جزئياً يحترم قواعد اللغة العربية الصرفية والنحوية منها.

من هنا ومن خلال متابعة يومية حصرناها في أسبوع كامل لطريقة أداء نشرات الأخبار بالتلفزة المغربية اتضح لنا وفي خلاصة لنتائج المتابعة حقيقة ما سماه البعض شيوع "لغة الإعلام" التي تكرر وبشكل واضح عناصر لغوية "تخالف المنوال الفصيح" وإن استعمال هذه اللغة "يغلب عليه طابع التركيب الصياغي المستعجل الناتج عن الترجمة الحرفية.

ويتمثل هذا المنحى في النسخ والنقل الحرفي لقوالب وأساليب في التعبير غير عربية. ذات طابع أجنبي يركز في خلفيته على مصادر فرنسية وإنجليزية واعتمد هذا السلوك في التعامل مع الخبر على التركيب والترتيب الخارج على نظام اللغة العربية^(٣٩).

ولقد سبق أن أشرنا في مبحث سابق أن من خاصية " لغة الإعلام " تغليب الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، وهو ما لمسناه بالنسبة لمكونات نشرات الأخبار في التلفاز المغربي، حيث يعتقد أن تغليب الجملة الاسمية أقدر لإثارة انتباه المشاهد وأقدر على ترسيخ مضمون الخبر من الجملة الفعلية، وإذا كان هذا

المسلك مقبولاً تقنياً، فإنه من الناحية اللغوية غير مقبول، لكون الجملة الفعلية لها دورها الذي لا يمكن للجملة الاسمية أن تقوم به أو أن تقوم مقامها في السياق العام للأخبار. إن الخبر التالي يقول " الحرب بين أمريكا العراق قامت على أشدها: ليس فيه ما يبرر تفضيل الجملة الاسمية على الفعلية، لكون محتوى الخبر الذي يراد تعميمه هو قيام الحرب على أشدها (٤٠) وليس الحرب ذاتها، ولذلك كان يجب استعمال الجملة الفعلية بأن يقال "قامت لحرب على أشدها بين أمريكا والعراق".

وعلى مستوى أداء الصحفيين والصحفيات، فإننا سنحتكم للقاعدة التي تقول إن الأداء السليم يتمثل في استقامة العبارة تركيباً ونطقاً، فمن ناحية التركيب، ثمة أمثلة كثيرة تبين وقوع الصحفيين والصحفيات في التلفاز المغربي في أخطاء لغوية، تبعدهم عن النظام العربي لبناء الجملة من ذلك المثال الآتي:

يقول المذيع في التلفاز المغربي في إحدى نشرات الأخبار الخبر الآتي: "جوبهت القوات الصهيونية من قبل أطفال الحجارة" وهي عبارة غير مستقيمة، حيث بني فيها الفعل للمجهول وذكر الفاعل والقول كذلك، استقل فلان الطائرة والمراد أقلته الطائرة، إذ أن أقل يفيد معنى حمل (٤١).

إضافة لهذا، فإن ما يفسد التعبير، اللحن الذي يقع فيه بعض مذيعي التلفاز المغربي بقناتيه الأولى والثانية، علماً أنه ما وضع النحو إلا تجنباً وتوصيياً لملحون القول.

ومن الناحية الصوتية، لاحظنا أن كثيراً ما يقع بعض المذيعين والمذيعات في اللبس فيما بين الحروف الشمسية والحروف القمرية فقد تسمع المذيع يقول التلفزة المغربية مخفياً نطق اللام .

المبحث الثاني: اللغة العربية والبرامج الثقافية والسياسية والإنتاج الدرامي

تتكون شبكة البرامج في التلفاز المغربي من برامج ثقافية وأخرى سياسية إضافة للإنتاج الدرامي، وستعني ملاحظتنا بالإنتاج الوطني لبعض من هذه البرامج.

بالنسبة للبرامج الثقافية والسياسية والترفيهية فإنها تستعمل في أغلبها اللغة العربية الفصحى، أو تستعمل عامية مهذبة قريبة من الفصحى في البرامج الترفيهية.

وكون البرامج الثقافية والسياسية موجهة أصلاً لفئة المتعلمين أو المثقفين، فإن استعمال غير العربية غير مسموح به.

لكن الإنتاج الدرامي، وإنتاج المسرحيات يعتمد أساساً وفي غالبته العامية المغربية على اعتبار أن أحد أهداف هذا الإنتاج الترفيه عن الجمهور. وإذا كانت البرامج الثقافية والحوارية ذات الطابع السياسي عادة ما يتم إعدادها من طرف نخبة مثقفة لها اهتمام بالمجال الذي تنتج فيه، لذلك نلاحظ الحفاظ على سلامة اللغة العربية بعيداً عن ما تفرضه التقنية الحرفية للإعلام التلفزيوني، فإن الإنتاج الدرامي يستعمل عامية تحمل بين طياتها سلوكيات وتقاليد وقيماً محلية قد يرتاح لها المشاهد العادي، لكنها بالتأكيد لا تخدم اللغة العربية في الانتشار. كما لا تساعد على ترقية ذوق المشاهد اللغوي وكذا الحضاري.

لكن الشبكة البرمجية التلفزيونية، على أية معايير يعتمد في تصنيفها، وما علاقتها باللغة، وكيف يتم التعامل مع اللغة العربية في هذه البرامج.

وفي نظر بعض المهتمين في هذا المجال فإن مهام هذه البرامج تنحصر في وظيفة البرامج، وفي اللغة التي تعتمدها، ثم في المصدر المعرفي للغة. وبالرغم من الإشارة السابقة في بداية هذا المبحث من أن البرامج الثقافية وكذا التربوية، تفرض فيها اللغة العربية، لتعريف مكونات وفقرات البرنامج لأن البرنامج متجه بصفة أساسية إلى شريحة، هي بحكم موقعها ومستواها الثقافي لا تستسيغ استعمال غير العربية في مثل هذه البرامج، ونجد نفس الشيء بالنسبة للبرامج الحوارية كانت ذات طابع سياسي أو ثقافي.

إن معيار استعمال اللغة العربية في هذه البرامج يرتبط بقدرات المشارك أو المشاركين فيها، الثقافية منها والمعرفية، وكذا السياسية، فقد أكدت بعض البحوث التي تطرقت إلى هذا الموضوع، على أن شخصية ووزن المشارك ونوعية

حضوره، تجعل من التعامل مع اللغة تعاملًا متميزًا، ولما كانت طبيعة البرنامج الثقافي، تجعل من المشاركة معادلة ثنائية بين معد البرنامج ومقدمه وبين الضيف، الذي قد يكون حضوره إيجابياً، لكن هذه الإيجابية مرهونة بطبيعة الأسئلة المطروحة التي لا تمكن في غالب الأحيان من أن يكون الحوار معمقاً وذا فائدة. إذا كان منشط البرنامج لا يمتلك مادة الموضوع، وليست له قدرة لغوية متميزة.

إن استعمال اللغة العربية في البرامج الثقافية، مطلب يفرضه واقع البرنامج كما يفرضه الفئة التي يتوجه إليها مما يجعلنا نتساءل عن أي حضور للفصحى في البرامج الثقافية والتربوية والسياسية التلفزيونية. هل حضورها يشكل تأثيراً متميزاً على الجمهور، ويعمل على ارتباطه بلغته الفصحى التي هي مكون أساسي من مكونات الهوية القومية العربية.

وتؤكد جواباً عن هذه التساؤلات، متابعتنا للشبكة البرمجية للتلفزة المغربية بقناتها الأولى والثانية أن:

- ١ - في غالبية هذه البرامج يتم اعتماد اللغة العربية.
- ٢ - نسبة المتابعين لهذه البرامج يمكن حصرها في الثلث من مجموع مشاهدي التلفاز المغربي.
- ٣ - بعض هذه البرامج توظف اللغة العربية وكذا العامية، وبالأخص البرامج الحوارية السياسية التي يعتقد المساهمون فيها، وخصوصاً إذا كانوا سياسيين يجيدون التحدث بالعامية، أنها في نظرهم الأقدر على نقل ما يقولون للمشاهدين.
- ٤ - تشكل البرامج التي تستعمل فيها العربية والعامية من ضمن باقي البرامج نسبة 33.33%.

وبالرغم من تبني استعمال العربية في أهم البرامج الثقافية بغض النظر عن مستوى التمكن من ناصية اللغة واحترام قواعدها النحوية والصرفية، فإن الاتجاه السائد، والذي يبدو أنه ينمو ولو بشكل بطيء يروج في آن واحد لأهمية استعمال

اللغة الفصحى والعامية تيسيراً لعملية إيصال مضمون الرسالة -البرنامج عبر لغة اصطلاح عليها بعامية المتقنين، لكن هذه الصيغة من الاستعمال اللغوي قد لا تحقق الغرض لتسهيل الاتصال بالجمهور المستهدف، إن جزئياً أو كلياً، ولكنها من الثابت لا تخدم اللغة العربية الفصحى كما لا تخدم اللهجات المحلية انطلاقاً من أن تكريس اللهجات المحلية كاختيار وطني، لا كاختيار جهوي يعتبر انتحاراً لغوياً ما دام أن أحد المكونات الأساسية للغة كمقوم من مقومات الهوية الثقافية هو اليوم موضع تساؤل بارتباطه بوسيلة أكثر التصاقاً بالجمهور -التلفاز، وللمكانة التي توجد عليها البرامج الثقافية والدراما والمسرحيات والبرامج الرياضية، من حيث شعبيتها وارتباطها بالجمهور.

وبالتالي فإن اللغة العربية حالياً ومستقبلاً وضمن الفضاءات الأكثر تأثيراً وهي -التلفاز- مطروح الآن مستقبلاً، وقدرتها على الحفاظ على كيانها الرصين وعلى جمالياتها المتميزة ومن هنا يصبح طرح التساؤلات التالية مسألة مشروعة، وهما: هل سيكون للتطور الملموس لتكنولوجيا الاتصال، وكذلك الاتصال المتعدد الوسائط، دور متميز في تخطي عائق اللهجات أو العاميات، والرهان على اللغة العربية الفصحى، أم أننا سنتجه لاختيار آخر يعتمد الازدواجية في شكلها: الأول العربية بجانب اللغات الأجنبية.

المبحث الثالث: اللغة العربية والبرامج الإعلانية في التلفاز المغربي

-الوصلات الإعلانية أو الإشهارية، كما هو رائج في المغرب يهمننا في دراستها الجانب اللغوي، أي ما هي اللغة المستعملة في صياغة خطابها، وهل للغة العربية مكانة فيها؟

قبل الإجابة عن هذه التساؤلات، لا بد من التأكيد على أهمية المنطلق المعرفي للإعلان، والإعلان ليس دائماً ذا بعد تجاري، ولكن في أحيان كثيرة يلبس الإعلان لبوساً سياسياً. إن المضمون هنا لا يهمننا، لكن الهام هو بأي لغة ينقل هذا المضمون.

ذلك أن لغة الخطاب الإعلاني تكتسي أهمية متميزة لدى مصيغ الإعلان، لأنها ستكون سبباً فاعلاً في إيصال مضمونه وفي التأثير على المستقبل للاقتناع به، ثم أن الطبيعة التقنية للإعلان، والتي تركز على مبدأ تكرار الوصلات الإشهارية وإلى إيجاز المكون اللغوي التعبيري، تجعل لغتها متحررة من القواعد البنائية للغة العربية، وهكذا وبالنسبة للتلفاز المغربي، نلاحظ أنه أقر لغة جديدة، لكن هذه اللغة لم تذهب إلى تعزيز مكانة اللغة العربية، لأن هذه اللغة الجديدة التي نتكلم عنها، وظفت البناء اللغوي العامي، في تمرير مضمون خطابه التجاري، وفي بعض الحالات المضمون السياسي للخطاب الإعلاني وهذا الأمر لم يكن في صالح دعم وتعزيز العربية، لما تحمله العامية المغربية من كلمات غير عربية، ولا تتصل أيضاً بالمناخ الأصلية للبربرية المغربية ولهجاتها المتعددة، فأصل عديد من كلمات العامية المغربية، أما فرنسي، أو برتغالي، أو أسباني، وهي الدول التي كان لها وضع احتلالي للأراضي المغربية.

لقد أدى استعمال العامية في النشاط الإشهاري التجاري إلى تأكيد جانب من مكونات لغات أجنبية دخيلة حتى إن كان التلفاز المغربي أرضياً أم فضائياً، يعتبر في وظائفه يؤدي خدمة عمومية هي في صالح العام والثقافة والهوية الوطنيين.

وبالرغم من القيود القانونية، التي تفرض على المعلنين استعمال لغة عربية سليمة، بعيدة عن النابية أو الألفاظ الأجنبية إلا أن الواقع يؤكد شيئاً غير هذا تماماً. ذلك أن التلفاز المغربي بالإضافة لما سبق يسمح باستعمال اللغة الفرنسية. وتؤكد الدراسات الإحصائية أن استعمال اللغة العربية واستعمال العامية المغربية يتم بنسبة 43% من استعمال العربية الفصحى و 47% من استعمال العامية، وتؤكد هذه النسبة على أن اللغة العربية الفصحى قادرة من حيث المبدأ أن تكون لغة إعلان، من حيث إمكانية نفاذها للجمهور ومن حيث تناسبها مع البث الفضائي للإعلانات عبر التلفاز المغربي.

وبالرغم من الأهمية التي تكتسيها اللغة العربية في التلفاز المغربي، فإن العامية تعتبر لدى المعلن أهم وسيلة لإيصال الإعلان للجمهور المستهدف، لكن ثمة ملاحظة هامة وهي أن الاستعمال الحالي للإعلان في التلفاز المغربي لا

يتناسب مع البث الفضائي للوصلات الإعلانية، وذلك أن هذا المنحى اللغوي بقدر ما يخدم الجمهور المحلي فإنه لا يجد له مكاناً خارج المغرب.

ويقابل التواجد المتميز للعامة المغربية، وكذا اللغة العربية الفصحى، حضور اللغة الفرنسية، إما بصفة كلية أو جزئية تهم أجزاء من الإعلان، وذلك ارتكازاً على العلاقات التاريخية والاقتصادية بين المغرب وفرنسا.

وبجانب الإعلان التجاري، يحضر في مناسبات معينة الإعلان السياسي، الذي يسوق لفكرة ما قد تتعلق بالانتخابات أو حث المواطنين للتسجيل في اللوائح الانتخابية، وليكون لهم هذا الحق لا بد من اكتساب البطاقة الوطنية، حيث يدعو الإعلان إلى تشجيع الشباب للحصول على "لاكارت" بدلاً من البطاقة، وهذا تكريس لكلمة، أو كلمات فرنسية.

ولعل خطورة هذا الفعل، تماثل حضور اللغات الأجنبية في الإعلانات، فبالرغم من محدوديته يعتبر أهم من الإعلانات التي توظف اللغة العربية الفصحى، أو العامية، أو اللهجات، لأنها تقنياً الأكثر تأثيراً ونفاذاً للجمهور.

خلاصة وتوصيات:

لقد أوضحنا فيما سبق الدور الذي تلعبه اللغة العربية الفصحى في نقل نماذج المعرفة والفكر، والخروج من دائرة الأمية، والدفع بالمواطنين للمساهمة الفعلية في عملية التنمية، من موقع العالم والعارف لا من موقع الجاهل، كما بينا العلاقة الوظيفية المفترضة أن تكون بين اللغة العربية وآليات الإعلام وبالأخص الإعلام التلفزي، وأنها بمكانتها الجمالية وقدرة قواعدها اللغوية قادرة إذا كان ناسها متيقنين من ذلك ومدركين من حقيقة المقدر اللغوية أن تتم الاستجابة الكاملة لتقنيات الإعلام الناتجة عن التطور التكنولوجي التواصلي وهذه الاستجابة يمكن بناؤها على تراكمات العلاقة التي بلغت عبر التاريخ بالاتصال شكلاً ومضموناً وهذا التراكم التاريخي من شأنه أن يذيب الفوارق بين القواعد التقنية والقواعد اللغوية.

وبينا أن العربية الفصحى، التي يشترط فيها الوضوح، هي العربية السليمة التي بإمكانها أن تنقل المعرفة في نماذجها النظرية، وفي تداخلاتها مع الدور المرسوم للمدرسة في نقل تراث الحضارة العربية والثقافة القومية.

وعلى هذا فإن أمر بلورة لغة فاعلة، لا بد له من "سياسة لغوية" وطنياً، على خلفية مسؤولية بناء الدولة والإنسان، وهذا لن يتم ما لم نتجه إلى تطوير العامية المحلية، ونسج جسر التعامل مع اللهجات، قصد توظيفه في التعليم والإعلام.

ومن هنا تطرح بالباح مسألة وضع منظور معياري لما ينبغي أن تكون عليه لغة الإعلام أو تكون عليه اللغة العربية داخل الإعلام التلفزي.

لذلك لا بد من مراعاة التوصيات الآتية:

- إيجاد دليل إذاعي تلفزي متضمناً ضبطاً للكلمات الشائعة، إلى جانب المصطلحات الموسيقية وأسماء الأماكن الجغرافية، ومتضمناً أيضاً المعالم البارزة للأسلوب الإعلامي العربي الواضح والسليم، وكشف أبرز الأخطاء اللغوية التي يجب تجنبها، وتوضيح كل ما ينتهي إلى صياغة عبارة تخلو من اللحن والعجمة.
- التزام الجهات المسؤولة في التلفاز بتطبيق ما جاء به الدليل الإذاعي والتلفزي من تعليمات وتوجيه.
- التفكير في وضع تصور حضاري لما ينبغي أن تكون عليه لغة الإعلام في المغرب مع الانتباه إلى الخطوات المرجعية للتقليل من استعمال العامية في العمل الإعلامي التلفزي والرفع من استعمال المصطلح العربي المناسب.
- اعتماد تدريس اللغة العربية عبر مراحل التدريس في كليات ومعاهد وأقسام الإعلام المغربي.
- الأخذ بعين الاعتبار قدرات الطالب اللغوية، واعتبارها شرطاً ضرورياً للالتحاق بكليات ومعاهد الإعلام المغربية.

- الأخذ بعين الاعتبار القدرات اللغوية، شرطاً من الشروط المطلوبة لتدريس الإعلام في المعاهد والكليات المغربية.
- الحث على تنظيم دورات تكوينية لممارسات العمل الصحفي في مجالات التعريب.

الهوامش

١. عبدالقادر بن الشيخ: التلفزيون الهوية الثقافية. منشورات اتحاد الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات عدد 43-1999 ص28.
٢. سعيد لبيب: برامج التلفزيون والتكنولوجيا الحديثة للاتصال في الوطن العربي.- المجلة العربية للثقافة عدد 11 آذار 1991 ص10.
٣. المصدر نفسه: ص13.
٤. عبدالرحيم العماري: الدليل والتقنية. التواصل المعرفة والسلطة.
٥. المصدر نفسه: ص35.
٦. د. فريال مهنا: لغة الإعلام العربي بين الفصحى والعامية، مجلة اتحاد الإذاعات العربية عدد 2-2000 ص29.
٧. د. فريال مهنا المصدر نفسه ص 31.
٨. د. فريال مهنا المصدر نفسه ص33.
٩. شرف وخفاجي: النحو لرجال الإعلام. الطبعة الأولى، القاهرة 1982، ص30.
١٠. المصدر نفسه ص32.
١١. فريال مهنا: نحو بلاغة إعلامية معاصرة. منشورات جامعة دمشق، الجزء الأول 1993 ص 80-87.
١٢. فريال مهنا: ذات المصدر ص 81.
١٣. محمد طلال: الاتصال في الوطن العربي، الطبعة الأولى 1986 ص50.
١٤. محمد طلال: المصدر نفسه ص51.
١٥. محمد طلال: المصدر نفسه ص52.

١٦. إبراهيم بن مراد: في مسألة الاستعمال اللغوي في البرامج الإذاعية والتلفزيون، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية. عدد 2-2000 ص42.
١٧. المصدر نفسه ص 43.
١٨. المصدر نفسه ص44.
١٩. د. محمد نجيب التلاوي. وسائل حضور الفصحى في وسائل الإعلام، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 2-2000. ص49.
٢٠. المصدر نفسه ص 49-50.
٢١. الدكتور زكي الجابر: اللغة العربية والإعلام الجماهيري ، من كتاب عربية الصحافة، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الرباط 1998 ص 34.
٢٢. زكي الجابر المصدر نفسه ص36.
٢٣. زكي الجابر المصدر نفسه ص 39.
٢٤. فاروق شوشة: لغتنا الجميلة ومشكلات المعاصرة، سلسلة كتابك 1979 ص22.
٢٥. فاروق شوشة: ص24.
٢٦. فاروق شوشة: ص26.
٢٧. طلحة جبريل: نحو كتابة سليمة للخبر والتقرير الإخباري، من كتاب عربية الصحافة، مرجع سابق ص87.
٢٨. طلحة جبريل: نحو كتابة سليمة للخبر والتقرير الإخباري من كتاب عربية الصحافة، مرجع سابق ص87.
٢٩. المصدر نفسه ص 88.
٣٠. المصدر نفسه ص89.
٣١. إبراهيم بن مراد: مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية عدد 2000 ص45.
32. المصدر نفسه ص 47.
٣٣. المصدر نفسه ص 48-49.
٣٤. د. عبد العزيز شرف: وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، ص245.
٣٥. المصدر نفسه ص 249.
٣٦. المصدر نفسه ص249-250.
٣٧. المرجع نفسه ص33.
٣٨. طلحة جبريل، مصدر سابق ص88.

٣٩. طلحة جبريل، مصدر سابق ص 89.

٤٠. سعد لبيب: مرجع سابق ص 12.

٤١. سعد لبيب. مرجع سابق ص 13.